مركز باحث للدراسات الفلسطينية والاستراتيجية

التقدير نصف الشهري

تحليل للتطورات السياسية والامنية على الساحتين الدولية والاقليمية

www.bahethcenter.net
Email: baheth@bahethcenter.net
bahethcenter@hotmail.com

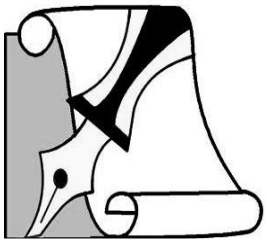

باحث للدراسات
الفلسطينية والاستراتيجية

تقدير نصف شهري للتطوّرات السياسية والأمنية على الساحتين الدولية والإقليمية

أهداف المركز الرئيسية:

1 . إعادة فلسطين إلى موقعها الحقيقي كقضية مركزية للأمة.

2 . الترويج للقيم الجهادية والنضالية في إطار استراتيجية تحرير فلسطين.

3 . بناء علاقة متينة مع النخب والشخصيات المعنية بالقضية الفلسطينية.

4 . إصدار دراسات وأبحاث وتقارير ذات بعد استراتيجي وتحليلي.

"جاءت لتبقى"

هزّات استراتيجية تُعيد الأمريكي مباشرة إلى المنطقة

د. لينه بلاغي

شكّل انتصار الثورة الإسلامية في إيران (1979)، وما استتبعه من معطيات حرب الخليج الأولى (1980–1988)، مقدّمة لإعادة النظر بالسياسات الأمريكية في منطقة الشرق الأوسط، والتي تضافرت مع استمرار الحرب الباردة التي قادَها المعسكران الشرقي والغربي. لكن مع انهيار المنظومة الشرقية، وفي غياب مُنافس للقوّة الأمريكية العظمى، بدأ العمل على إعادة ترتيب تموضع اللاعبين والمعطيات في المنطقة من جديد.

لقد شكّلت حرب الخليج الثانية عام 1991، شمّاعة العودة الأمريكية الكبرى للمنطقة، حيث تمركز الأسطولان السادس والسابع في المتوسط والمحيط الهندي، في حين تمّ نشر ما يقارب 500 ألف جندي أمريكي في المملكة العربية السعودية تحت ما يُسمّى "درع الصحراء"، في ظل تجييش للرأي العام العالمي، وتعميم الإسلاموفوبيا... وهي أسفرت عن حصار خانق لم يطل العراق – كما ظهَر في حينه – فقط؛ بل طال كامل المنظومة الإقليمية. وهذه المرحلة استمرت وصولاً إلى احتلال العراق 2003 ، وما تخلّلهما من الإحساس ب "فائض القوّة" الأمريكي، مقابل الضعف الأوروبي، والتملّص الأمريكي الواضح من الوعود ب "الشراكة" ودخول "جنّة منظمة التجارة العالمية" وتأطير أفعل وتوسيع أعمق لقدرات "حلف الناتو"، عسكرياً وجغرافياً، في أوروبا، ما أيقَظ المخاوف الدفينة للنزعة الروسية.

بالموازاة، كان هناك صعود صيني اقتصادي وتكنولوجي هادئ، مع تفعيل منظومة "الفوضى الخلّاقة" في الشرق الأوسط، من خلال عملية اغتيال رئيس الوزراء اللبناني رفيق الحريري، والتي تبعتها الحرب الإسرائيلية على لبنان 2006، وكان المُخاطَب الأساسي فيها هو الرئيس السوري بشّار الأسد، وتموضعه الاستراتيجي مع روسيا وإيران، في ظل مخاوف روسية من جهة أوروبا، مع استمرار سياسة توسيع "الناتو" ونصب منظومة الدفاع الصاروخية الأمريكية "الدرع الصاروخي" بحجّة مواجهة إيران

والأنظمة "المارقة"، واشتعال أزمة جورجيا 2008، والتي تزامنت مع انهيار سوق البورصة الأمريكية، وسياسات الرئيس الأمريكي الجديد، باراك أوباما، الذي أزاح تبعات ما وصِف بسياسات بوش الابن وتأثيراتها السلبية على سمعة "الديموقراطية الأمريكية"، وخصوصاً في أوروبا، حيث أعاد نشر قوّات أمريكية فيها، إلى جانب زيادة القوّات في البحر الصيني.

مع أوباما، بدأ مسار تخفيض القوّات الأمريكية المسلّحة في الشرق الأوسط تدريجياً، ولاسيما مع إعلان توجّهه نحو الشرق، ما بين 2008 و2016، في ظل "ما عُرِفَ ب "الربيع العربي"؛ وهو الضرب بقفّازات في المنطقة، والانتقال إلى مرحلة التفتيت من الداخل، بأدوات اعتبرها الغرب الأنسب، ومن صميم، أو هي مخرجات طبيعية للأنظمة السياسية والاجتماعية والدينية القائمة.

في آخر خطاب للأمّة، لم يتطرّق أوباما إلى الملف الفلسطيني على الإطلاق، لينتهي عام 2016 بانخفاض عدد القوّات الأمريكية إلى 28 ألف جندي بدلاً من 74 ألفاً عام 2008، حسب أرقام وزارة الدفاع الأمريكية، وبدايات الحرب " العربية " على اليمن السعيد، في 25 مارس 2015، تحت مُسَمّى (عملية عاصفة الحزم).

استُكْمِل المشروع المذكور بالتوجّه شرقاً مع إدارة دونالد ترامب، حيث تمّ فتح جبهة اقتصادية – سياسية ضدّ الصين، في الوقت الذي استمرّت سياسة حصار روسيا بقفّازات في أوروبا، وبالمواجهة العسكرية عبر الوسطاء على الساحة السورية، وحلّت توافقات "أبراهام" بعد تهويد القدس ونقل السفارة الأمريكية إليها، ومنح الجولان السوري المحتل للكيان الغاصب. إن المسار العام للمنطقة كان يتّجه نحو سلسلة من عمليات التطبيع من قِبل عدد من الدول العربية والإسلامية مع الكيان الصهيوني، وإرساء منظومة من التحالفات من شأنها أن تتولّى إدارة المنطقة في ظل تخفيض مستوى حضور الأمريكي في الشرق الأوسط وتوجّهه نحو الصين.

ملفّان بعد هزيمة دونالد ترامب في الانتخابات شغَلا الإدارة الأمريكية الحالية: ملف المواجهة الاقتصادية والتكنولوجية مع الصين، والمواجهة مع روسيا؛ وقد أثّر في تحديد أولويات الصراع، العقل السياسي المتأثّر والمُشبَع بالتجربة السياسية والعسكرية والإعلامية إبّان الحرب الباردة، وسيطرة المقولات التقليدية للمدارس الجيوبوليتيكية، حول ضرورة إخضاع روسيا، باعتبارها الثقل الوحيد من الناحية التاريخية والثقافية، وعلى مستوى القدرات والموارد القادرة على إعادة تشكيل قوّة وازنة من شأنها تهديد

كينونة النظام الأحاديّ القطبية، في ظل تفكّك كامل لمختلف المنظومات المتوسطية الأخرى. وعلى الرغم من الخطر التي تشكّله الصين وفق "المخاوف الأمريكية"، إلّا أن ما يُبَرّر استهداف روسيا أوّلًا يتمثّل بكون الثقل الصيني، ومشاريعه، والقائم على البعد الاقتصادي (المالي والتجاري)، إلى جانب التكنولوجي، ولاسيما تلك المتطورة جداً منها، من شأنه أن يتساقط في ظل تصاعد مخاطر المنظومة الأمنية؛ فالارتقاء الاقتصادي على علاقة طردية مُعاكسة للبعد الأمني؛ والأزمات الأمنية والعسكرية والحصار، من شأنها أن تعيق سلاسل التوريد التجارية، بمختلف أنواعها، الواقعية والرقمية.

في السابع من أكتوبر 2023، ومع بدء عملية "طوفان الأقصى"، فُرِضَت تعديلات على الاستراتيجية الأمريكية المُطَبّقة طيلة ما يقارب السنتين، بمساندة أوكرانيا لإضعاف روسيا. وهي معادلة أظهرت هشاشة وعدم نضج المنظومة التي اعتقدت الإدارة الأمريكية أنها أرْسَتها في الشرق الأوسط بزعامة "إسرائيلية"؛ فجاء "طوفان الأقصى" ليكشف هشاشة هذه الزعامة، وقدرة اللاعبين الإقليميين على المناورة في ظل تحوّل الأولويات الأمريكية، وتصاعد قدرات القوى "الذريّة"، خاصة بعد دخول عامل الطائرات المُسَيّرة على أنواعها، والقفزات النوعية في الأسلحة الصاروخية، والخبرات العسكرية.

لكن، وبالتزامن، تشهد المنطقة حالياً تعزيزات عسكرية مباشرة وغير مباشرة، وإعادة تموضع للقوى الوازنة في العالم والمنطقة، على خلفيّة احتمال اندلاع حرب إقليمية في الشرق الأوسط، ولاسيما بعد اغتيال رئيس حركة "حماس"، إسماعيل هنيّة، في قلب العاصمة الإيرانية طهران، واغتيال فؤاد شكر، أحد كبار قادة حزب الله ومستشار الشؤون العسكرية للأمين العام لحزب الله، السيّد حسن نصر الله، في قلب الضاحية الجنوبية لبيروت، وضرْب مخازن النفط في ميناء الحديدة اليمني واستهداف مقار "حزب الله العراقي" في منطقة جرف الصخر بالعراق.

التحشيدات والتعزيزات الأمريكية والغربية في المنطقة منذ السابع من أكتوبر، مستمرة، تحت مسمّيات متعدّدة، كان آخرها ما صرّح به وزير الدفاع الأمريكي لويد أوستن، حيث أعلن عن عدّة خطوات في إطار الردّ على إيران وحلفائها في المنطقة، لدعم الكيان الإسرائيلي، ومن بينها نشر طائرات مقاتلة إضافية. وقال أوستن إن حاملة الطائرات يو إس إس أبراهام لينكولن ستحل محل حاملة الطائرات يو إس إس تيودور روزفلت في المنطقة "في وقت لاحق من هذا الشهر". ووفقًا لمسؤول أمريكي، أقلعَت حوالي 12 طائرة مقاتلة من طراز F/A-18 وطائرة استطلاع E-2D Hawkeye من حاملة

الطائرات الأمريكية تيودور روزفلت من خليج عُمان إلى قاعدة عسكرية في الشرق الأوسط. فيما أشارت مصادر أمريكية، حسبما نشرت "وكالات" إلى أنه من المتوقّع أن تصل ما يقرب من 12 طائرة من طراز F-22 إلى نفس القاعدة من محطتها الرئيسية في ألاسكا. فيما ليس من الواضح كم من الوقت ستبقى جميع الطائرات معًا في القاعدة؛ وقد يعتمد ذلك على ما سيحدث – إن حدَث أي شيء – في الأيام القليلة المقبلة"؛ وهي تحرّكات وصَفها أوستن بأنها تأتي للوفاء بالوعد الذي قَطَعَه بايدن لنتنياهو عشيّة الاغتيالات الإسرائيلية المتنقّلة في المنطقة!

كما أمَر أوستن بنشر طرّادات ومدمّرات إضافية ذات قدرات دفاعية ضدّ الصواريخ الباليستية في الشرق الأوسط ومناطق أخرى تحت القيادة الأمريكية في أوروبا، بالإضافة إلى سرب مقاتلات جديد في المنطقة.

وكانت 12 طائرة مقاتلة من طراز أف إيه 18 وطائرة استطلاع، قد أقلَعت من الحاملة روزفلت إلى قاعدة عسكرية في الشرق الأوسط لم يُكشَف عن اسمها؛ علماً أن هناك عدداً من القواعد العسكرية الأمريكية في المنطقة العربية وتركيا، أبرزها قاعدة العديد الجويّة في قَطَر، التي تُعَدّ أكبر قاعدة في المنطقة ومقر للقيادة العسكرية الأمريكية الوسطى والقيادة المركزية للقوّات الجويّة والمركز المشترك للعمليات الجويّة والفضائية، إلى جانب قواعد أخرى تنتشر في كلٍ من السعودية والكويت وتركيا وقبرص. والأخيرة، بطريقة غير رسمية، هي من ضمن عديد القاعدة العسكرية البريطانية.

في 15 كانون الثاني / يناير 2021، أعلنت وزارة الدفاع الأمريكية عن إجراء تغيير في "خطّة القيادة الموحّدة"، يقضي بنقْل إسرائيل من منطقة عمليات "القيادة الأمريكية الأوروبية" ("يوكوم") إلى منطقة عمليات "القيادة المركزية الأمريكية" ("سينتكوم"). فمُجْمَل أعداء الكيان موجودون في منطقة اختصاص "سنتكوم"، إلى جانب مُجْمَل مُوَقّعي "اتفاقات أبراهام"، من شركاء إقليميين لأمريكا ومَنْ هم على طريق التوقيع، في محاولة أمريكية في حينه "لتخفيف الضغط أو العبء عن الولايات المتحدة وتحويله إلى الكاهل الإقليمي"، وفق بيان للبنتاغون في حينه.

وعليه، ما عاد تَرفاً أو مُستبعداً ترجيح سيناريو بنيامين نتنياهو رئيس وزراء الكيان الإسرائيلي، بجرّ الولايات المتحدة إلى المنطقة مُجدّداً للدفاع عن المصالح الإسرائيلية– الأمريكية المشتركة؛ وهو ما وصَفه بشكل مخَفّف مايكل يونغ، من مؤسسة كارنيغي، الذي اعتبر أن التوقيت السريع للاغتيالات

المزدوجة "يشير بقوّة إلى أن بنيامين نتنياهو ربما يحاول دفع الولايات المتحدة إلى مواجهة عسكرية مع إيران".

حربٌ جديدةٌ في الشرق الأوسط، ما زالت مساحتها الجغرافية وأبعادها الإقليمية والدولية غير محدّدة المعالم؛ إلّا أنّ الثابت الأساسي فيها أنه من المرجّح أن يُحارب الأمريكيون، إلى جانب حلفائهم من الأوروبيين وبعض العرب، للدفاع ليس فقط عن الكيان، وإنما عن المنظومة الشرق أوسطية ضمن نظام أحاديّ القطب، في ظل انشغال مع ترقّب للمنافسين الدوليين، الذين يعلمون علم اليقين أن فتح جبهة ضدّ الجمهورية الإسلامية في المنطقة يؤثّر تأثيراً مباشراً على جبهاتهم المشتعلة، كروسيا، والمتوتّرة كالصين.

تعاون استخباراتي بين الكيان ومنظومتي "يوكوم" و"سنتكوم"، وتعزيزات متنوّعة، بريّة وبحريّة وجويّة، إلى جانب الدعم السياسي الدولي المطلق للكيان في مواجهة أي ردّ ضدّ الهجمات وسياسة الاغتيالات وانتهاك سيادة الدول والجغرافيا، عبّر عنها البيان الصادر عن زعماء الدول الخمس: الولايات المتحدة الأمريكية وألمانيا وبريطانيا وفرنسا وإيطاليا، والذي أعلن تأييده "للدعوة من الولايات المتحدة وقَطَر ومصر لاستئناف محادثات وقف إطلاق النار في غزة للتوصل لاتفاق في أقرب وقت ممكن"؛ أي "وقف إطلاق النار بين إسرائيل وحماس وتحرير الأسرى"، إلى جانب "دعوة طهران إلى وقف عملية الرد" على اغتيال إسماعيل هنيّة في طهران.

– على مستوى **الكيان الإسرائيلي**، فيما يُستبعد أن تُسفِر مفاوضات الخميس،15الجاري، وخاصة بعد تصريحات رئيس وزراء العدو، بنيامين نتنياهو، لصحيفة "التايمز"، بأنّ "اتساع رقعة الحرب في غزة وتحوّلها إلى صراع إقليمي مُخاطرة يدرك حجمها، لكنه مستعدٌ لخوضها"، وأن "الحرب على غزة لن تنتهي قريباً". وتابع: "أفَضّل أن أحظى بتغطية سيّئة على أن أحظى بنعي جيّد"؛ هذا إلى جانب الإجراءات القانونية والعملية التي تحدّثت عنها قناه 12 العبرية حول تجهيزات لإعادة "الاستيطان في غزة"، وإلغاء قانون الانفصال عن "غوش قطيف"، وتصريحات رئيس مجلس مستوطنات شمال الضفة الغربية، يوسي داغان، حول "الطريقة الوحيدة لحماية مستوطنات 'غلاف غزة' وتلقين العدو درسًا قاسياً، وهي الاستيطان في قطاع غزة"؛ وتابع: "كما عُدْنا إلى "حومش" (بؤرة استيطانية في منطقة

نابلس)، يجب أن نعود إلى "غوش قطيف"(كتلة استيطانية على ساحل قطاع غزة الجنوبي) وشمال القطاع (في إشارة إلى مستوطنة نتساريم)."

بدوره، دعا عضو كنيست العدو، أريئيل كلنر، إلى "إلغاء العار والجريمة المتمثّلة في طرد اليهود من 'غوش قطيف... كما نجَحنا في تعديل القانون الذي منَع اليهود من التواجد في شمال السامرة(التسمية التوراتية لشمال الضفة الغربية المحتلة)، سنفعل ذلك أيضًا في غوش قطيف". ويأتي مشروع القانون الجديد لينضم إلى القانون الذي صادَق عليه الكنيست سابقاً لإلغاء خطة الانفصال عن أربع مستوطنات شمالي الضفة.

إذاً، ما بين تصريحات هرَم القيادة، نتنياهو، وبين القاعدة العامة، لا انفصام في المشاريع والأهداف والرغبة في اقتطاع بقيّة الأراضي الفلسطينية، الأمر الذي يجب أن يؤخذ بعين الاعتبار عند دراسة أي خطط للمواجهة مع الكيان، وخصوصاً مع تمكّن نتنياهو حتى الساعة من جرّ العالم إلى بئر مصالحه التوراتية–الشخصية– السياسية.

– الشرطي "الجيّد" في الكيان السيّئ، وزير الحرب يواف غالانت، كان قد عقَد سلسلة لقاءات واتصالات للتنسيق مع كافة الجهات المعنيّة، من قيادة "سنتكوم" مايكل كوريلا، إلى نظرائه في "يوكوم"، في كلٍ من فرنسا وإيطاليا وبريطانيا، للتأكيد على أن "التحالف الدولي مُنَسّق وجاهز لأي سيناريو "إلى جانب محادثات واتصالات خلف الكواليس مع دول عربية "معتدلة"، وفق ما نشَرته بعض وسائل الإعلام.

غالانت أصرّ على تجهيز التشكيلات الدفاعية في ظل التطوّرات الأمنية، وعلى إمكانيات العمل الهجومي في كافة القطاعات القتالية، حيث توجّه غالانت للقادة قائلًا: "أعداؤنا يفكّرون بعناية في خطواتهم بفضل القدرات التي أظهرتموها في العام الماضي. ومع ذلك، يجب أن نستعد لكلّ الاحتمالات.. بما في ذلك الانتقال السريع إلى الهجوم."

وهناك أصوات أخرى في الكيان، رغم أنه لا صوت يعلو فوق صوت نتنياهو، لعلّها تُخْتَصر بالدعوات للتوصل إلى صفقة. فقد اقترحت صحيفة يديعوت أحرونوت سيناريو إجراء صفقة بالتزامن مع التحركات الدبلوماسية لوقف الردّ الإيراني وردّ حزب الله في لبنان، عبر "إغلاق متكامل ومتعدّد الساحات لعشرة أشهر من القتال"، قبل أن يتحوّل إلى حرب إقليمية. من جهته، يائير جولان، رئيس

حزب الديموقراطيين في الكيان، اعتبر "أن عودة الأسرى ستضمن تجنّب الحرب والعودة السليمة إلى الجنوب وقوّة للبلاد وعودة الردع للجيش ... الكيان يحتاج إلى اتفاق، وهو مُلزَم باتفاق. إن مستقبلنا وأمننا وأملنا منعقدٌ على الاتفاق".

– على المستوى **الإيراني**، ردّ وزير الخارجية الإيرانية بالإنابة، باقري كني، بالتأكيد أن "إيران متمسّكة بحقّها المشروع في الردّ على اغتيال إسماعيل هنيّة"، وذلك خلال اتصال مع نظيره الإيطالي، مُشدّداً على مساعي إيران الدؤوبة "لوقف العدوان الإسرائيلي على قطاع غزة."
المواقف الإيرانية هذه جاءت متناسقة ومتناغمة مع سابقاتها، وهي تؤكّد على حقّ إيران بالرد على الاعتداء الإسرائيلي، رغم الضغوط الدولية، حيث وصَف المتحدّث باسم وزارة الخارجية الإيرانية، ناصر كنعاني، البيان الأوروبي – الأمريكي المشترك، بأنه "يفتقر إلى المنطق السياسي".

وقال كنعاني رداً على البيان: "لا نطلب الإذن من أحد في استخدام حقوقنا المعترف بها"، مُشدّداً على أن "إيران مصمّمة في الدفاع عن سيادتها وأمنها القومي والمساعدة في إرساء الاستقرار المستديم في المنطقة، ولا تطلب الإذن من أحد في استخدام حقوقنا المعترف بها" واصفاً المطلب الغربي بـ"الوقاحة".

من جهته، شدّد الرئيس الإيراني مسعود بزشكيان، على "حق الرد" على أي هجوم يستهدف إيران، وذلك بعد دعوة المستشار الألماني أولاف شولتس إلى تجنّب التصعيد، في ظلّ ارتفاع مستوى التوتّر بين إيران والكيان الإسرائيلي.

وفي السياق، فإن أحد أبرز السيناريوهات المرتقبة والمتوقعة، ورَد في تقرير لمجتمع الاستخبارات الأمريكي، والذي أعرب عن اعتقاده بأن ايران" لم تتّخذ قراراً بعد بتصنيع قنبلة نووية"، وأنه في حال حاولت، فإن "الضغط على الزناد سيكون طريقه أسهل"؛ هذا وقد تضافر الضغط الإعلامي والسياسي من قِبل المحسوبين على "إسرائيل" في الغرب مؤخرًا لإعادة تفعيل فزّاعة "إيران النووية"؛ ومن بين هؤلاء، مدير المخابرات المركزية الأمريكية أفريل هاينز، الذي اعتبر أن إيران "قامت بأنشطة تجعلها في وضع أفضل لإنتاج جهاز نووي، إذا اختارت القيام بذلك".

وفي نفس السياق، كان كلٌ من قادة حزب الله في لبنان وأنصار الله في اليمن والمقاومة العراقية قد أعلنوا عن نيّة واضحة وأكيدة بالرد على الاعتداءات التي طالت أطراف محور المقاومة، من دون

الإفصـــاح عن كون الردّ متّصـــلًا أو منفصـــلًا عن الردّ الإيراني، الأمر الذي أســـفر عن جملة من الترجيحات التي تؤكّد أن الردّ من مختلف جبهات محور المقاومة قادم؛ إلّا أن التحليلات ارتكزت على جانب الكيفيّة والتوقيت.

– في **العراق**، حذّر وزير الدفاع الأمريكي لويد أوسـتن من مغبّة التعرّض للقواعد الأمريكية، سـيما بعد ضـربة قاعدة عين الأسد في العراق، بقوله: "لا تُخطئوا، فإنّ الولايات المتحدة لن تتسامح مع الهجمات على أفرادنا في المنطقة، ونظل على اسـتعداد للانتشـار في غضـون مهلة قصـيرة لمواجهة التهديدات الناشئة لأمننا أو شركائنا أو مجتمعنا ومصالحنا."
ومن الواضح أنه تمّ تفعيل العمليات العسكرية في العراق مجدّداً بعد أن شاع اعتقاد في الداخل العراقي بعدم مصـداقية الولايات المتحدة في مباحثاتها المتعلقة بالانسـحاب من العراق، وفي الأسـابيع الأخيرة، حيث اسـتأنفت المقاومة العراقية شـن هجمات على قواعد تضـم قوات أمريكية في العراق وسـوريا بعد هدوء لعدّة أشـهر، في أعقاب ضـربة على قاعدة في الأردن في أواخر يناير/كانون الثاني أسـفرت عن مقتل ثلاثة جنود أمريكيين وأثارت سلسلة من الهجمات الأمريكية الانتقامية.

– **لبنانياً**، أكثر السـيناريوهات المرشّـحة لدى جبهة العدو هو ما عبّر عنه البروفيسـور الإسـرائيلي، أميتسـيا بارام، حيث قال إنّ ايران وحزب الله اللبناني "يسـعيان لتجنّب حرب شـاملة، وإن اسـتراتيجيتهما تقوم على حرب طويلة المدى، ويعملون بشـكل منهجي واسـتراتيجي للغاية". ووفقاً له، فإنهم ينتظرون أحد السـيناريوهين لبدء حرب شـاملة: أن تُهاجم إسـرائيل المنشـآت النووية الإيرانية، أو إضـعاف إسـرائيل من الداخل؛ وسـيكون هناك ضـرر بهجوم شـامل على إسـرائيل، مؤكّداً أن "الانقسـام الداخلي في إسـرائيل يصـب في مصـلحة الأعداء ." ورغم اعتباره أن حزب الله سـيوقِف الحرب في الشـمال إذا توقّفت الحرب على غزة، إلّا أنه لا بدّ "من التعاون مع الولايات المتحدة بعد انتهاء الحرب .. لينقل حزب الله قوّاته إلى ما بعد نهر الليطاني". وقدّم بارام خطة عمل حازمة، حيث أفاد: "نحن بحاجة إلى طَرْد حزب الله فعلياً إلى ما وراء الليطاني؛ ويمكننا القيام بذلك.. وبمجرّد أن يدرك حزب الله أنّنا نهدّد ببدء حرب شاملة، فسوف يتراجع مرّة أخرى إلى نهر الليطاني، لأنهم سيعتقدون أنه بإمكانهم العودة بسـهولة إلى الحدود كما فعلوا بعد الاتفاق 1701 في الأمم المتحدة ." ويعرض بارام حلّه للمسـألة، ويقول إن إسـرائيل يجب أن تحصـل من الولايات المتحدة على "ترخيص بالقتل" والتصـرّف

بشكل حاسم ضدّ أي وجود مسلّح لحزب الله جنوب الليطاني. ويتابع بالقول: "أريد من رئيس وزراء إسرائيل، أياً كان، أن يحصل من رئيس أمريكي، أياً كان، على ترخيص لقتل أي عنصر مسلّح من حزب الله يدخل أراضي جنوب لبنان، وتفجير أي منشأة استراتيجية أو نقطة مراقبة على الفور."

– في السياق، وبالتزامن، نقَلت وكالات أنباء دولية عن مصادر في إدارة الرئيس الأمريكي جو بايدن، أن الولايات المتحدة قرّرت رفع حظر بيع الأسلحة الهجومية للمملكة العربية السعودية، والتي استمرّت 3 سنوات. وذكَر مُعاون في الكونغرس أن الإدارة أخطرت المُشَرّعين هذا الأسبوع بقرارها رفع الحظر، حسبما نقَلت وكالة "رويترز"، و"إن المبيعات قد تُستأنف في الأسبوع المقبل على أقلّ تقدير"، وذلك بعد أن "وفّى السعوديون بجانبهم من الاتفاق، ونحن مستعدّون للوفاء بجانبنا"، مُضيفاً أن بيع الأسلحة سيعود إلى الخضوع للنظام المعتاد بإخطار الكونغرس واستشارته". وكان وزير الخارجية الأمريكي أنتوني بلينكن قد صرّح سابقاً بأن "الولايات المتحدة والسعودية اقتربتا جداً من إبرام مجموعة اتفاقيات في مجالات الطاقة النووية والتعاون الأمني والدفاعي، ضمن اتفاق أوسع للتطبيع بين الرياض وإسرائيل". فيما طرَحت السعودية لتطبيع العلاقات خطّة تتألّف من عدة مكوّنات، حسبما أكّد الكاتب الأمريكي توماس فريدمان، في شهر نيسان المنصرم، في صحيفة "وول ستريت جورنال" الأمريكية. وهذه المكوّنات الثلاثة الرئيسية بين الولايات المتحدة والسعودية هي:

1) اتفاقية دفاع مشترك بين الولايات المتحدة والمملكة العربية السعودية من شأنها إزالة أي غموض حول ما ستفعله أمريكا إذا هاجمت إيران المملكة العربية السعودية، وسوف تهب الولايات المتحدة للدفاع عن الرياض؛ والعكس صحيح.

2) تسهيل وصول السعودية إلى الأسلحة الأمريكية الأكثر تقدّماً.

3) اتفاق نووي مدني خاضع لرقابة مشدّدة، من شأنه أن يسمح للمملكة العربية السعودية بإعادة معالجة رواسب اليورانيوم الخاصة بها لاستخدامها في مفاعلها النووي المدني."

في المقابل، سيعمل السعوديون "على كبح الاستثمارات الصينية داخل المملكة العربية السعودية، وكذلك أي علاقات عسكرية مع الصين، وعلى بناء أنظمتهم الدفاعية من الجيل التالي بالكامل باستخدام الأسلحة الأمريكية، الأمر الذي سيكون بمثابة نعمة لمُصَنّعي الدفاع الأمريكيين ويجعل الجيشين قابلين للتشغيل المتبادل تماماً.. فيرغب السعوديون، بما لديهم من طاقة رخيصة ومساحات مادية وفيرة، في

استضافة بعض مراكز معالجة البيانات الضخمة التي تحتاجها شركات التكنولوجيا الأمريكية لاستغلال الذكاء الاصطناعي، فيما تكاليف الطاقة المحلية والمساحات المادية الأمريكية منخفضة للغاية.. كما ستقوم السعودية بتطبيع العلاقات مع "إسرائيل"، بشرط أن يلتزم نتنياهو بالعمل لحلّ الدولتين مع السلطة الفلسطينية بعد إصلاحها".

ولم يغفل فريدمان التهديد الإيراني، حيث قال: "وأخيراً، ستجمع الولايات المتحدة إسرائيل والسعودية والدول العربية المعتدلة الأخرى والحلفاء الأوروبيين الرئيسيين في بُنية أمنية واحدة متكاملة لمواجهة التهديدات الصاروخية الإيرانية بالطريقة التي فعَلتها، خصوصاً عندما هاجمت إيران إسرائيل في 13 أبريل رداً على غارة إسرائيلية استهدفت بعض كبار القادة العسكريين الإيرانيين ... والذين كانوا يجتمعون في مجمع دبلوماسي إيراني في سوريا... **ويعلم المسؤولون الأمريكيون، والسعوديون أيضاً، أنه بدون مشاركة إسرائيل في الصفقة، فمن غير المرجّح أن تمرّ المكوّنات الأمنية الأمريكية السعودية عبر الكونغرس**".

ومن الجملة الأخيرة، يتّضح أن حصول المملكة العربية السعودية على قرار رفع الحظر هذا إنما يشير إلى تقدّم ربما في محاولات أمريكية وإسرائيلية لتحقيق مزيد من الردع عبر أقنية عربية، عبّرت عنها تصريحات سابقة لرئيس الكيان الإسرائيلي يتسحاق هرتسوغ، الذي اعتبر أن "التطبيع مع السعودية هو تغيير تاريخي لقواعد اللعبة " في مواجهة إيران. وأشار إلى أن "الرئيس (الأمريكي جو) بايدن قدّم رؤية هائلة، من شأنها أن تربط أوروبا بجنوب شرق آسيا والولايات المتحدة بأستراليا؛ كلّ ذلك عبر نصف الكرة الشرقي. وتشير تصريحات هرتسوغ إلى المشروع السابق على 7 أكتوبر وطوفان الأقصى، وإلى عملية ربط الساحات عبر مراكز القيادة العسكرية الأمريكية الموزّعة على "يوكوم" و"سنتكوم"، ولربطها مع جسر القيادة الأمريكية الموجودة في شرق آسيا، والذي تلعب فيه "إسرائيل" دوراً أساسياً نظراً لعلاقاتها المتعدّدة والعميقة مع مركز قيادتي "سنتكوم" و"يوكوم"، إلى جانب وجود علاقات مع العديد من دول شرق آسيا، ومع الصين أيضاً.

إن تموضع اللاعبين الدوليين فيما يتعلق بساحات الصراع الثلاث، فرَض أسئلة تتعلق بسيناريو توسّع الحرب في الشرق الأوسط، وما يعنيه ذلك من تغيير للمعادلات، عبر تعميق التحالفات أعلاه، مع طرح جملة من التساؤلات حول إمكانية تعميق التحالفات في الجبهة المقابلة.

ففيما تواصل روسيا صدّ الهجوم الأوكراني على أراضي كورسك الذي وقَع في السادس من آب الجاري، وما شكّله من ضربة للسيادة الروسية، وصَف الخبير في شؤون الشرق الأوسط وإيران، ميس قربانوف، الوضع في المنطقة بقوله: "السفن الحربية الأمريكية تقترب من الشرق الأوسط؛ ولا تُخفي أمريكا وبريطانيا وحلف شمال الأطلسي استعدادها لدعم إسرائيل. فمن الذي يمكن أن يصبح حليفاً لإيران إذا اندلعت الأعمال القتالية؟ روسيا والصين وكوريا الشمالية تراقب الأحداث؛ وهي تعلم أن إيران إذا خسرت المواجهة، فسيأتي دورها. وبطبيعة الحال، لن تقف هذه الدول مكتوفة الأيدي، بل ستتصرّف. أعلم أنه إذا تعرّضت إيران لهجوم، فسوف تقوم بالدفاع عنها بصورة مباشرة، روسيا والصين وكوريا الشمالية. فما الحاجة إلى "بريكس" ومنظمة شنغهاي للتعاون إذا لم نكن معًا في الأوقات الصعبة؟ " وتابع: وأظن أن كوبا وفنزويلا ستنضمّان إلى إيران، لأن هناك حاجة إلى التحرّك في وقت واحد؛ وتوقّف عند الموقف التركي من إمكانية الدخول في تحالف عسكري مع إيران، واصفاً اياهما بأنهما دولتان متنافستان ومحكومتان بالتحالف.

لكن الجانب التركي حدّد أخيراً، على لسان وزير الدفاع يشار غولر، "لوكالة رويترز"، الأولويات التركية، بعد تقارير عن انحراف بوصلة تركيا إلى الشرق بعيداً عن الناتو والغرب بالقول إن بلاده "مُلتزمة بكامل مسؤولياتها تجاه حلف الناتو" وإن "عضوية تركيا في حلف "الناتو" لا تمنعها من تطوير علاقاتها مع منظمة شنغهاي للتعاون". وتابع: "بخلاف ذلك، أولويّتنا هي الوفاء بالتزاماتنا أمام "الناتو"، الذي يُعتبَر حليفاً مهماً لتركيا، إلى جانب تعزيز التضامن مع حلفائنا. وتركيزنا يجب أن ينصب على أن يكون الحلف مستعداً وثابت العزم وقوياً"؛ مُعرباً عن "سعادة الأتراك باتفاق شراء طائرات إف-16الأمريكية وتحديثها؛ ونأمل أن يكتمل المشروع دون مشكلة حتى يتم تسليم آخر طائرة."

وكانت الولايات المتحدة فرَضت عقوبات على تركيا وأزالتها من برنامج طائرات إف-35، بسبب حصولها على أنظمة دفاع إس-400 الروسية. وتسعى أنقرة لشراء 40 مقاتلة من طراز بلوك-70 إف-16؛ إضافة إلى 79 مجموعة تحديث من واشنطن. وقد حصلت تركيا على الموافقة على تلك الصفقة بعد أن أقرّت بدورها عضوية السويد في حلف شمال الأطلسي.

في الختام:

– إن اضـــطراب البيئة الدولية، بســـاحاتها الثلاث، وانحراف توازن المنظومة الدولية، وطبيعة الدفاع الهجومي الأمريكي عن منظومته الدولية التي حكَمت العالم ما يقارب العقدين (أحاديّة القطب)، والعسكرة الشديدة للكثير من الدول الوازنة في العالم، وتعميق مفاتيح القوّة للقوى المتصارعة والمتنافسة، من خلال تفعيل وتقوية التحالفات، يُكلّلها التخبّط في المنظومة الاقتصادية الدولية، والتي بدأت تتكشّف مَعالمها بوضـــوح. والأهم من هذا وذاك أن كلّ طرف في هذه الســـاحات يعتبر أن معركته "وجودية"؛ وهي كذلك بالفعل، وبما يؤكّد على أن العالم عموماً بات أمام سيناريو حرب كبرى في ساحات متعدّدة.

– على مستوى الشرق الأوسط، وهو إحدى ساحات المنازلة الدولية، فإن الفترة الزمنية ما بين إعلان جو بايدن عن تراجعه عن خوض الانتخابات الرئاسية وما بين الانتخابات، وما أصاب القيادة الأمريكية السياسية من انفصام، تحوّل إلى فرصة مثالية لرئيس وزراء كيان العدو للقضاء على أبرز مُنافسيه في المعادلة المتوسطية، واستكمالًا للمشاريع السابقة في تفتيت المنطقة وتطويعها. فالضعف الذي يعانيه الكيان على المســتويين الداخلي والخارجي، وفق اعتقاد نتنياهو، هو "خســائر جانبية" في مقابل توطيد وتعميق تجذّر الكيان في المنطقة وفق شـــروطه، وعبر اســـتخدام القوّة الأمريكية العائدة إلى المنطقة للحفاظ على وجودها بعد ضعضعة الوجود الإسرائيلي إثر عملية "طوفان الأقصى".

– إن مُســـارعة القيادة الأمريكية للوقوف على رغبات الســـعودية وتركيا في المنطقة تتناغم مع عملية جذب الحلفاء استعداداً للمواجهة، سياسياً، ومن المرجّح عسكرياً، تمهيداً لإعادة التوازن إلى منظومة الشرق الأوسط بالزعامة الإسرائيلية، لكي تعيد تفرّغها عسكرياً وسياسياً لمنظومتي أوروبا (ضدّ روسيا) وأقصى شرق آسيا.

– بات من نافل القول إن الردّ الإيراني وردّ محور المقاومة متحقق، بغضّ النظر إذا ما كان متّصلاً أم منفصـلاً، وكيفياته وآلياته وتوقيته إذا ما تأخّر أو تقدّم؛ ذلك أنه يمس بمنظومة الردع المتعلقة بمختلف اللاعبين، لأنه يشكّل جزءاً من الصورة اللاحقة في أي منظومة إقليمية ستستتب في الشرق الأوسط. وفي هذا الصـــدد، من المرجّح أن نكون أمام توســـعة للحرب في المنطقة، وإن لم يرغب بها المحور؛ وتوقيتها ومدى توسّعها مرتبط بالميدان؛ من مرتكزاتها، وفق رؤية الكيان، الاستفادة من عسكرة المنطقة أمريكياً، وتمكّن مؤيّدي الكيان الصهيوني من إدارة الفراغ الحالي في البيت الأبيض.

إنّ الإمكانية الكامنة في التدهور ستكون مرهونة بأمرين: قوّة رد محور المقاومة، ولاسيما حزب الله، "ونجاحه"؛ وعلى خلفيّة ذلك طبيعة رد الكيان. ورغم ما يصفه البعض ب"خشية الأمريكي" من التورّط

في حرب في المنطقة، إلّا أن الالتزام بالدفاع عن الكيان، وكون الكيان الإســـرائيلي جزءاً من منظومة الدفاع الأمريكي في الشــرق الأوســط، يؤكّدان اســتعداده لخوض هذه المعركة؛ وهو ما يدركه نتنياهو جيّداً.

– يبقى سيناريو إذا ما وافق الكيان على المضـي باتفاقية تبادل أسرى ووقف لإطلاق النار والانسحاب من غزة وتسليم معابرها إلى الجانب المصـري؛ وهو أمر مستبعد عملياً، كونه "سيحمل هزيمة مُدَوّية". وفي هذه الحالة يمكن وقف التصعيد الذي يلوح في الأفق.

على أي حال، ساعات وتتّضح إلى أين ستقودنا كلّ تلك المعطيات والمؤشّرات.